آراء وأنباء

الدكتور صبحي المحمصاني

رسمه الأخير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجمعي افتقدناه

الدكتور صبحي المحمصاني

العضو المراسل لمجمع اللغة العربية

١٣٢٤ ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٦ م

كانت آخر رسالة تلقيتها من فقيد المجمع الكبير الدكتور عمر فروخ مؤرخة في ١٧ / ٨ / ١٩٨٧ ، وقد حملها إليّ رسوله بعد وفاته بما يقرب من شهرين[١] ، وفيها ينعى إلى المجمع صديقه وزميلنا الدكتور صبحي المحمصاني ، وقد جاء فيها مايلي :

« ويبدو أن صبحي المحمصاني كان يعاني مرضاً ظهرت عليه أعراضه الواضحة في العام ١٩٨٤ ، فأخذ في علاجه في بيروت وفي فرنسة ، ولكن المرض استعصى على العلاج فتوفيّ صبحي المحمصاني في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٨٦[٢] » .

---

(١) انظر ماكتبناه عن فقيد المجمع الدكتور عمر فروخ وتاريخ وفاته وبخاصة الهامش المتضمن تحقيقاً في تاريخ مولده في الجزء الأول من المجلد ٦٣ من مجلة مجمع اللغة العربية .

(٢) هذا التاريخ يوافق الخامس من محرم سنة ١٤٠٧ هـ .

٧١٣
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفيما يلي موجز حياة الفقيد صبحي المحمصاني وأهم آثاره ومؤلفاته مع تقييم بعضها : بقلم د . عدنان الخطيب

مولد الفقيد ودراساته

ولد الفقيد الدكتور صبحي بن محمد رجب المحمصاني عام ١٣٢٤ للهجرة ـ ١٩٠٦ للميلاد في مدينة بيروت ، يوم كانت بيروت عاصمة إحدى ولايات سورية العثمانية ، حيث كانت أقاليمها تمتد من عكا في فلسطين جنوبا إلى اللاذقية ومايتبعها شمالا ، وهي تلفّ حول متصرفية (جبل لبنان) المرتبطة مباشرة بالصدارة العظمى في استانبول متمتعة باستقلال إداري ونظام خاص مضمون من قبل الدول الأوربية[٣] .

كان تحصيل صبحي المحمصاني الابتدائي مضطربا بسبب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ م ، لأن المدارس الرسمية وحتى غير الرسمية كانت شبه مفقودة في بيروت في أثناء تلك الحرب ، فلما كانت سنة ١٩١٩ ، وكانت بيروت تحت الاحتلال العسكري الفرنسي ، دخل صبحي المحمصاني مدرسة « رأس بيروت التابعة للكلية السورية الإنجيلية ، وقد جاز مع رفاق له الصفوف الابتدائية باللغة الإنكليزية مع الصفين الأول والثاني من المرحلة الثانوية في عامين دراسيين . وفي عام ١٩٢١ ، وكان الانتداب الفرنسي قد فرض على سورية ولبنان ،

(٣) كان مما أدت إليه أطماع الدول الغربية في تمزيق أوصال الدولة العثمانية ثم القضاء عليها ، والفتن التي أيقظتها في بعض الأقاليم ومانجم عنها من مذابح طائفية سنة ١٨٤٠ ثم في سنة ١٨٦٠ م ، أن ضعفت الدولة العثمانية تجاه ضغوط تلك الدول واضطرت إلى اعطاء جبل لبنان استقلالا إداريا بموجب نظام موقت وقعته الدولة مع مندوبي كل من فرنسة وانكلترة وروسيا والنمسا وبروسيا ، ثم أقر النظام نهائياً مع بعض التعديل سنة ١٨٦٤ وانضمت ايطاليا إلى الموقعين عليه . انظر كتب التاريخ وبخاصة كتاب (ولاية بيروت) للتميمي والحلبي بيروت ١٩١٦ . ومذكرات يوسف الحكيم في جزء (بيروت ولبنان في عهد بين عثمان) بيروت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

انتقل صبحي المحمصاني إلى الصف الثالث من الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية ، كما أصبح اسم الكلية السورية الانجيلية في تلك السنة ، وفي عام ١٩٢٤ نال صبحي المحمصاني شهادة الدائرة الاستعدادية بتفوق كبير ، إذ كان معدل علاماته في جميع الدروس يجاوز ٩٢ ٪ ، فكان الأول بين الخريجين وخطيب حفل التخرج باللغة الانكليزية .

وآثر صبحي المحمصاني دراسة علم الحقوق في فرنسة على غيره من العلوم فتوجه إليها ، ومن جامعة ليون نال (الاجازة) ثم (الدكتوراه) عام ١٩٣٢ مع شهادتين للدراسات العليا في القانون الخاص والاقتصاد وتوجه بعدئذ إلى إنكلترة حيث نال درجة (بكالوريوس في الحقوق) عام ١٩٣٥ من جامعة لندن .

كان صبحي المحمصاني يتابع تحصيله في كل من فرنسة وإنكلترة وهو يعمل في القضاء اللبناني منذ عام ١٩٢٩ إذ تولى المناصب التالية :

١ ـ قاضي محكمة صور .

٢ ـ حاكم صلح الشوف .

٣ ـ مستنطق بيروت .

٤ ـ مستشار في محكمة الاستئناف المختلطة .

٥ ـ قاضٍ ورئيس غرفة محكمة الاستئناف والتمييز في بيروت من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٤٦ .

٦ ـ ومنذ أوائل عام ١٩٤٧ ترك فقيدنا القضاء ليتعاطى المحاماة مع المناصب التالية :

٧ ـ أستاذ في كليات الحقوق في الجامعات اللبنانية واليسوعية ومعهد الدراسات العربية من عام ١٩٣٨ ـ ١٩٧٤ .

٨ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق جامعة الدول العربية بالقاهرة عام ١٩٤٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٩ ـ المستشار القانوني لوفد لبنان لوضع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو عام ١٩٤٥ .

١٠ ـ عضو الشعبة الوطنية لمحكمة التحكيم الدولية .

١١ ـ عضو أو رئيس عدد من لجان التحكيم الدولية .

١٢ ـ رئيس لجنة العلوم .

ولما كان الدكتور صبحي المحمصاني يعتبر أن من واجب الفئات المثقفة والمستنيرة في لبنان أن تشارك في العمل السياسي من أجل وضع علمها وخبراتها في خدمة لبنان واللبنانيين ، وكان يتمنى أن يصل العمل السياسي فيه إلى درجة الرقي الحضاريّ ، قام عام ١٩٦٤ بترشيح نفسه عن مدينةبيروت في الانتخابات النيابية فنجح فيها ، وبذلك تولى :

١٣ ـ النيابة عن بيروت من عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ .

١٤ ـ وفي عام ١٩٦٦ اختير وزيراً للاقتصاد الوطني اللبناني .

غير أن التجربة السياسية للدكتور صبحي المحمصاني كانت على غير مايشتهي ، كما يقول في ترجمة ذاتية له ، فاستقال وآثر بعد تركه الوزارة الانصراف مجدداً إلى العمل العلمي والجامعي وإلى التأليف والبحث والتحقيق في عدد من الموضوعات الإسلامية والفقهية والقانونية والتشريعية .

مؤلفات الفقيد وآثاره

للدكتور صبحي المحمصاني مؤلفات قيمة ودراسات جيدة ، ومن أهم آثاره مايلي :

١ ـ فلسفة التشريع في الإسلام ، الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠ ، والترجمة الأوردية لاهور (باكستان) عام ١٩٥٥ ، والترجمة الانكليزية لايدن عام ١٩٦١ ، والترجمة الفارسية طهران ١٩٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ـ النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية جزءان ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٢ ، والترجمة الايرانية طهران عام ١٩٦٣ .

٣ ـ الاوضاع التشريعية في الدول العربية ، الطبعة الرابعة بيروت عام ١٩٨١ .

٤ ـ المبادىء الشرعية والقانونية (الحجر والمواريث والوصية) الطبعة السابعة بيروت عام ١٩٨١ .

٥ ـ الدستور والديموقراطية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٥١ .

٦ ـ مقدمة في احياء علوم الشريعة بيروت عام ١٩٦٢ .

٧ ـ محاضرات في آثار الالتزام والاوصاف المعدلة لآثار الالتزام وانتقال الالتزام القاهرة عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ .

٨ ـ القانون والعلاقات الدولية في الاسلام ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٨٢ .

٩ ـ الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية ، الطبعة الثانية بيروت عام ١٩٧٩ .

١٠ ـ Les idées économiques d'Ibn Khaldoun Lyon 1932

١١ ـ The principles of International Law in the Light of Islamic Doctrine. Recueil of the Hague Academy. Leyden. 1936

١٢ ـ أركان حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي بيروت عام ١٩٧٩ .

١٣ ـ الأوزاعي وتعاليمه القانونية والإنسانية . بيروت عام ١٩٧٨ .

١٤ ـ المجاهدون في الحق . بيروت عام ١٩٧٩ .

١٥ ـ المجتهدون في القضاء . بيروت عام ١٩٨٠ .

١٦ ـ في دروب العدالة . بيروت عام ١٩٨٢ .

١٧ ـ تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء بيروت عام ١٩٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفقيد عضو في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع دمشق الدكتور صبحي المحمصاني عضواً مراسلا له في بيروت ، في الجلسة التي عقدها بتاريخ الثالث من تشرين الثاني (نوفبر) عام ١٩٤٧ ، وصدر المرسوم الجمهوري باعتماد هذا الانتخاب في العاشر من شباط (فبراير) عام ١٩٤٨ تحت رقم ٢٢٣ .

أرفد الدكتور صبحي المحمصاني مجلة مجمع دمشق بعدد من دراساته القيمة ، كما قامت المجلة بالتعريف وتقريظ الكثير من كتبه ومؤلفاته ، وفيما يلي عرض موجز للدراسات التي نشرتها المجلة مع أهم ماعرفت به أو نقدته من مؤلفات الدكتور صبحي المحمصاني :

أولاً : « ابن قيم الجوزية » ونواحي التجدد في اجتهاده

دراسة قيمة نشرها الفقيد في مجلة المجمع(٤) استغرقت ١٨ صفحة انتهى فيها الى القول : « إن ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين . بل كان من النوابغ الذين نظروا إلى الشريعة الإسلامية على حقيقتها ، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها ، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم .

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد ، فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وافق بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكمات وطرق البينات .

فتوصل بذلك كله . إلى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ،

(٤) انظر المجلد ٢٣ الصفحات ٣٦٣ ـ ٣٨١ سنة ١٩٤٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وماشابه من النظريات والمبادىء ، التي لانراها اليوم إلا في أحدث الشرائع .. .

ثانياً : النظرية العامة

للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

تعريف ونقد عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار لكتاب الفقيد استغرق سبع صفحات من المجلة(٥) انتهى به بعد ابداء بعض الملاحظات على ماورد في الكتاب إلى القول بأنه : « من خير ماألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذا عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأوربية ، وترجيحاً للفقه الإسلامي عليها .. » .

ثالثاً: النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية .

مقال علّق فيه الفقيد على تعريف ونقد الشيخ محمد بهجة البيطار الملمع إليه آنفا(٦) . شاكراً الثناء على جهوده في الكتاب موضحاً رأيه قائلاً : « إني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا من حيث الأسلوب إلى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية إذ أن الفقه الإسلامي لم يتأثر بفقه الرومان ، وأن قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيما عدا الأسلوب الشكلي فإن الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادىء الأساسية إلى مايماثل النظرية العامة الحديثة وإلى مايفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان .. »

(٥) انظر المجلد ٢٤ الصفحات ١١٨ ـ ١٢٥ سنة ١٩٤٩

(٦) المرجع السابق ص ٣١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعاً : التشريع اللبناني واحكام الوصية العامة

بحث نشره الفقيد واستغرق عشر صفحات من المجلة[٧] أشار فيه الى انتقال لبنان من السيادة العثمانية إلى انتداب فرنسة عليه وانتهى فيه إلى القول : « هذا مثل من مسائل الأحوال الشخصية في لبنان ، وهو يدل على اختلاف الطوائف في هذه المسائل ، وعلى صعوبة الغوص في تفاصيلها ، وليس هذا بالمثل الوحيد ، فمسائل الزواج والطلاق والفرقة أشد تشعباً واختلافا ... » إلى أن قال : « ونحن نرى أن توحيد التشريع ممكن في كثير من مسائل الأحوال الشخصية لاسيما وأن الشريعة الإسلامية ليست مذهباً واحداً ، وأن الاجتهاد فيها واجب لامراء فيه ، وأن القاعدة الكلية في هذه الشريعة وفي غيرها من الشرائع الراقية هي أنه : لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » .

خامساً: المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشره عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار في مجلة المجمع[٨] ، أثنى فيه على المؤلف وأبدى بعض الملاحظات على ماورد فيه ثم قال : « وقد أحصى ـ المؤلف ـ في آخر المبادىء الشرعية أهم المراجع ، مرتبا اسماء مؤلفيها على حروف الهجاء ، مبيناً أماكن طبعها ، ووضع فهرساً هجائياً بالموضوعات والأعلام ، مع أرقام صفحاتها مهما تكررت ، والفهرس الأخير لمحتويات الكتاب ثم

(٧) انظر المجلد ٢٧ الصفحات ١٩٨ ـ ٢٠٦ سنة ١٩٥٢

(٨) انظر المجلد ٣٠ الصفحة ٦٤٤ سنة ١٩٥٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جدول الخطأ والصواب . والدكتور أثابه الله قد وهب وقته للتدريس والمحاماة والتأليف » .

سادساً : محاضرات في القانون المدني اللبناني

ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني

على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد نشرته مجلة المجمع[٩] بقلم الدكتور عدنان الخطيب تكلم فيه عن محاضرات الفقيد التي طبعها معهد الدراسات العربية في القاهرة ، وقد ختم تعريفه بقوله : « كان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً إلى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الإسلامية في مختلف مذاهبها ، وذلك بأسلوبه القانوني المركّز الذي عوّدنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة .. »

سابعاً : المبادىء الشرعية والقانونية

في الحجر والنفقات والمواريث والوصية

الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩

مقال في نقد وتعريف الطبعة الثانية من كتاب الدكتور المحمصاني بقلم عضو المجمع الشيخ محمد بهجة البيطار نشرته مجلة المجمع فيه اشارة بما أدخله المؤلف

على الطبعة الأولى من تنقيحات[١٠]

(٩) انظر المجلد ٣١ صفحة ٤٩٤ سنة ١٩٥٦

(١٠) انظر المجلد ٣٥ ص ١٣٧ سنة ١٩٦٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثامناً : مقدمة في إحياء علوم الشريعة

تأليف المحامي صبحي المحمصاني

مقال في تعريف ونقد كتاب الفقيد الذي جمع فيه محاضرات له ألقاها في تونس ، نشره في مجلة المجمع[١١] الشيخ محمد بهجة البيطار استهله بقوله : « كنا كتبنا من قبل في مجلة مجمعنا العلمي ، على بعض مؤلفات الدكتور المحمصاني ، ونوهنا بأن المصنف يستند بنقله إلى أمهات المراجع الإسلامية .. » وبعد أن عدد الناقد مراجع الفقيد الفقهيّة أثنى على جهوده ونبل مقاصده ثم أبدى بعض الملاحظات التي رآها اثناء دراسته الكتاب .

تاسعاً : قاضي قضاة بغداد وأثره في الفقه الإسلامي

دراسة جديدة لحياة الإمام أبي يوسف يعقوب الأنصاري صاحب الامام أبي حنيفة بقلم الدكتور المحمصاني نشرتها له مجلة المجمع وقد استغرقت عشرين صفحة[١٢] .

ترجم الدكتور المحمصاني لأبي يوسف ترجمة وافية وذكر ولعه بالعلم منذ طفولته مستشهداً بقولة الإمام نفسه : « العلم شيء لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك »

ثم تكلم الباحث عن نهج أبي يوسف الفقهي : وقال : « برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضيع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف » ثم تكلم عن الآثار التي تركها أبو يوسف وخصّ كتاب « الخراج » بدراسة مفصلة عن المبادىء التي جاءت فيه والتي تتفق وأحدث النظريات في القانون الإداري .

---

(١١) انظر المجلد ٣٧ ص ٤٧٦ سنة ١٩٦٢

(١٢) انظر المجلد ٤٠ الصفحات ١١٧ ـ ١٣٦ سنة ١٩٦٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتكلم الفقيد المحمصاني عن مايسمى بالحيل الشرعية أو المخارج في المسائل الفقهية ورأي الأحناف بها وبخاصة رأي الإمام أبي يوسف وهو من الذين ينظرون إليها على أنها : « تدابير لطيفة لاتصطدم مع النصوص ، ويقصد بها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو احقاق باطل أو الدخول في التمويه والشبهة » .

كما فصل القول بعدئذٍ في أهم القواعد التي أفتى بها الإمام أبو يوسف مثل « تغير الأحكام بتغير الأزمان » و « التيسير للضرورة » و « التعسف في استعمال الحق » . وأخيراً تكلم عن بعض الأقضية والفتاوى التي حكم بها أو أعطاها أبو يوسف وهي « تصور لنا تعمق الإمام ودرايته وتدقيقه وعدالته ، وتعطينا دليلاً على تأثره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها » .

وأنهى الفقيد بحثه عن أبي يوسف بقوله : « لقد اكتسب مبادىء الفقه من أبي حنيفة ومبادىء القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على مااكتسب ، بجده واجتهاده كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء ».

عاشراً : الجهاد ومسوغاته الشرعية

بحث جليل كتبه الفقيد بمناسبة الأعمال الوحشية التي ارتكبها الصهاينة وأعوانهم في فلسطين والتي تحرمها مبادىء القانون الدولى والإتفاقيات الدولية وقد أدانتها كثير من المؤتمرات الدولية . نشرته مجلة المجمع واستغرق أربع عشرة صفحة[١٣] .

(١٣) انظر المجلد ٤٤ الصفحات ٣٠٩ ـ ٣٢٢ سنة ١٩٦٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم تكلم الفقيد عن مسوغات الحرب الشرعية وقد حصرها بما يلي :

أولاً : حماية الدين وأماكن العبادة .

ثانياً : دفع العدوان عن الديار .

ثالثاً : منع الظلم .

وبعد أن استشهد الفقيد بنصوص القرآن الكريم ختم بحثه بقوله : « وهذا ، بلا مراء ، توكيد سام لبطولة من يضحي في سبيل المبادىء الروحية الخالدة ، والمثل الوطنية العليا ، وتقدير جدير لنضال من يذود عن عز الديار ومجد الوطن ، وكرامة المواطنين » .

أحد عشر : الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية

تأليف الدكتور صبحي المحمصاني

مقال في نقد وتعريف كتاب الدكتور المحمصاني نشره عضو المجمع الدكتور شكري فيصل في مجلة المجمع[١٤] قال في مستهله : « إن معاناة الدكتور المحمصاني لهذه الموضوعات وأبحاثه الدائبة فيها جعلته واحداً من أبرز رجال الفكر التشريعي في الإسلام ، ولكنه في هذا الكتاب يطرق على نحو أوسع وأدق ، موضوع حكمة التشريع ويرى أن « بحوث الدين والأخلاق والقانون في هذه الشريعة تجمعها حكمة روحية واحدة وعلل اجتماعية مترابطة » ومن هنا يصرف همّه في هذا الكتاب ، إلى دراسة (هذه الأسس العامة التي تشكل الدعامة المشتركة للنواحي الروحية والاجتماعية في الإسلام ولجميع أحكامه الدينية والأخلاقية والقانونية) .

وختم الدكتور فيصل تعريفه بالكتاب بالخاتمة التي كتبها الفقيد المحمصاني والتي يقول فيها : « إن الاعتدال هو الدعامة الأساسية في هذه الأحكام جميعاً ومركز الثقل فيها بين جهتين متطرفتين ، فمن جهة أولى

(١٤) انظر المجلد ٤٨ الصفحات ٩١٧ ـ ٩٢٢ سنة ١٩٧٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقوم أحكام الدين والأخلاق ، وتترجّح فيها كفة الاحسان إلى جانب الاستقامة والعدل ـ ثم من جهة أخرى تقوم القوانين الشرعية ، وتترجح فيها كفة العدل إلى جانب الاحسان ـ ثم تلتقي الجهتان : جهة الديانة والأخلاق مع جهة الأحكام القانونية ، في توازن مضبوط ، طرفاه الديانة والقضاء ، ومركزه الاعتدال في الاستقامة والعدل ، مع تطعم الاثنين بشيء من الاحسان ، بقدر كثير في الديانة ، وبقدر أقل في القضاء .

وهكذا يتبلور هذا الترابط والتأثير المتبادل في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ ﴾ ، ويلتقي المتقون مع الفقهاء في القيادة والسيادة وفاق الحديث الشريف : المتقون سادة ، والفقهاء قادة .. » .

من طرائف مؤلفات الفقيد

غذّى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة ، ومن طرائف مؤلفاته الدالة على علمه الغزير وبيانه المشرق وخلقه الرفيع كتابه عن أعلام فقهاء العرب والمسلمين المعنن (**المجاهدون في الحق ـ تذكارات من مالك إلى السنهوري**) وفيما يلي عرض موجز لمحتوياته :

جعل الفقيد مدخله إلى الكلام عن أعلام الفقهاء والمشرعين قوله عن علم الفقه وأقطابه: (كان العرب والمسلمون من المجلين في ميدان العلوم الفقهية ، وقد امتازوا بغزارة الإنتاج في هذه العلوم ، وبالتعمق في التحليل وبالمقدرة على الاستنتاج والاستقراء والتخريج والتفريع . فبنوا بذلك بناء متيناً كاملا من التشريع ، وتراثا ثمينا شاملا من القواعد الكلية والضوابط العامة ، والأحكام الفرعية التفصيلية .

وقد ساعدهم على ذلك أمور أهمها تعدد الأدلة التشريعية ، وتعدد القضايا الطارئة ، وتأثير قواعد الدين والأخلاق . فالأدلة الشرعية التي اعتمدها الفقهاء ، من أدلة نقلية مبنية على نص القرآن الكريم أو السنة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشريفة ، إلى أدلة عقلية مبنية على القياس والإجماع والاستحسان والاستصلاح والاستدلال ، كلها وسائل مرنة للبحث العلمي والاجتهاد المنتج .

وكذلك ساعد الفقهاء تعدد القضايا الطارئة ، التي نجمت عن توسع الدولة بالفتوحات ، وعن تغير الأحوال والعوائد والحاجات .

أما تأثير قواعد الدين والأخلاق ، فناتج عن شمول علم الفقه للعبادات والمعاملات جميعاً . فقد اقترنت من جراء ذلك فكرة العدالة بفكرة الاحسان ، واتصف القضاء بالرحمة والتيسير ، وبنزاهة الإيمان ، ونصفة الخير المطلق . وهكذا جاءت الشريعة الإسلامية شريعة إنسانية خالدة ، مرنة تساير حاجات الزمان وضرورات الحياة الاجتماعية - ص ٢١) .

ثم مهد الفقيد لبحثه عن الإمام مالك بن أنس بقوله : (كان مالك المؤسس والموطد لمدرسة أهل الحديث ، التي هي امتداد لمدرسة الحجاز ، التي ترجع في أصلها إلى الفاروق عمر بن الخطاب (رض) ، ثم إلى ابن عمر وابن ثابت وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين من بعدهم . وأخذ مالك العلم عن ربيعة الرأي ، وسمع الحديث ورواه عن كثير من التابعين وتابعي التابعين . فكان ثقة في الرواية ، وحجة في الفقه حتى لقب عن جدارة بإمام دار الهجرة ، وبإمام المدينة وإمام الحجاز ، ومفتي الحرمين وعالم العلماء ، وحتى وصل علمه وفضله وصيته إلى الذروة ، وذهب المثل فيه وفيمن أتى بعده من أشباهه : « **أيفتى ومالك في المدينة !** »

وهكذا ، عدّ مالك عالماً في الحديث ، وعالماً في السنة ، وعالماً في الفقه جميعاً . وكان له الفضل في تدوين الحديث والسنة تدويناً علمياً في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصنفه المشهور « **الموطأ** » وفي تثقيف جيل من الأئمة ، وأشهرهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، الذي أقر بفضل مالك وبقيمة مصنفه ، حيث قال : « ما على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين . ومالك معلمي وعنه أخذنا العلم . وإذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك . وإذا جاء الأثر فمالك النجم ـ ص ٢٣)

وبعد أن بحث الفقيد في انتشار مذهب مالك وفي أدلة التشريع في هذا المذهب تكلم عن المصالح المرسلة ومافرعه عنها أتباعه ضاربا بعض الأمثلة ، ممهداً للبحث عن الأوزاعي إمام بلاد الشام بقوله : (**في أيام المحن القاسية ، يستلهم الناس عبر الماضي ، وتعاليم الدين والأخلاق ، ومبادىء العدالة** . ولم يخل التاريخ من العظماء والأقطاب الذين أظهروا هذه العبر ، وصاغوها عبارات تكفكف العبرات وتضمد الجراحات .

وهانحن في لبنان ، بعد محنة السنين البغيضة لابد لنا لاستعادة عافيتنا الاجتماعية **من ثورة روحية ، مستمدة من تراثنا الديني والأخلاقي ، الذي أقرته الأديان السماوية ، لاسيما الإسلام والمسيحية** .

وقد كان من هذا التراث الأصيل ، بلا ريب ، مذهب الأوزاعي وماحواه من تعاليم قيمة ، كانت ولاتزال مفخرة لهذه البلاد ، فالأوزاعي ، اللبناني المولد والموطن ، والعربي المحتد والثقافة ، والإنساني الفكر والعمل ـ كان أول من نادى بالوحدة الوطنية الصحيحة في هذه البلاد ، وحمل مشعل العدالة الصافية النقية من كل تعصب أعمى ، ليضيء بها زمانه ومابعد زمانه إلى الأبد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعندما أرّخ ابن خلكان للأوزاعي في كتابه « **وفيات الأعيان** » أشار إلى مقامه في قرية حنتوس ، جنوبي بيروت ، وروى قول أهالي تلك القرية : « **ههنا رجل صالح ينزل عليه النور** » .

وهكذا ، قبل أن تأسست منارة مطار بيروت بجوار مقامه ، كان الأوزاعي منارتها في أيام الظلمات ، ولايزال منارتها في أيام الظلامات .

أما الكلام على الأوزاعي ومذهبه ، فيستوجب المجلدات ، ولقد كتب الكثيرون عن حياتهٔ وبعض تعاليمه . إنما جماع مذهبه ، فقد ضاع مع الزمن ، ولم يبق منه إلاّ أقوال مبعثرة هنا وهناك ، في بطون المخطوطات ومطولات المذاهب الأخرى التي تفوق الحصر . وبكل تواضع ، أقول إني سلخت عشرات السنين في التقاط ماأمكن من هذه الأقوال وجمعها في كتاب (نشر سنة ١٩٧٨) مع اعترافي بأنه لم يصل إلى درجة الكمال ، إنما لم يكن بإمكان هذا العاجز أكثر مما كان . وعلى كل ، فالأقوال والتعاليم القيمة نادرة كالدرر الثمينة فلا تتحصل إلا بالجهد والغوص والتنقيب ـ ص ٣٣) .

وبعد أن ألقى الفقيد ضوءا على سيرة الأوزاعي تحدث عن علمه وأخلاقه وعن الأوزاعي المحدث والفقيه وكيفية انتشار مذهبه ثم اندثاره وعن أصول هذا المذهب وعدد المؤلفات فيه والمراجع إليه ثم تحدث عن الحركة القوية التي قامت في مستهل هذا القرن لإحياء تراثه وتحري أخباره وآثاره .

وختم الفقيد كلامه بالإشارة الى أهم المسائل التي عالجها مذهب الأوزاعي والأجوبة التي انتهى إليها علماؤه .

ثم تحدث الفقيد في كتابه عن قاضي قضاة بغداد الإمام أبي يوسف وآثاره ونهجه الفقهي وعن أهم المسائل التي أثرت عنه ، معدداً المؤلفات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي يمكن الرجوع إليها لزيادة البحث والتوسع فيه .

ثم اختار الفقيد البحث المعمق عن أقضى القضاة أبي الحسن الماوردي ، ثم عن نواحي التجدد في اجتهادات الإمام ابن قيّم الجوزية . وبعده تكلم بتفصيل عن عبقرية ابن خلدون وسيرته وآثاره وعن علم العمران وما أبدعه فيه .

وختم الفقيد كتابه ببحث مطول عن القائد والمفكر والمصلح الإسلامي الكبير محمد إقبال معرفاً به وبمنهجه الإنساني المعتدل وبدعوته المسلمين إلى النهضة والإبداع والإخاء العالمي ، ثم تحدث عن جهود محمد إقبال وأثره وأثر شعره في إنشاء دولة باكستان الإسلامية .

كل هذا بعد أن بحث في فصل خاص عن رجل القانون المعاصر علامة العرب في عصرنا الدكتور عبد الرزاق السنهوري واضع القوانين المدنية لعدة أقطار عربية وصاحب مدرسة « **إن جميع مذاهب الفقه الإسلامي يجوز الرجوع إليها والأخذ منها لوضع القوانين التي تلاءم أوضاع مختلف البلاد العربية** » أي التي تتماشى مع أحدث التشريعات العالمية من جهة وتتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية من جهة ثانية .

وبعد أن عدد الفقيد آثار السنهوري ركّز بحثه في مسؤولية السيد أو المخدوم عن أعمال خادمه أو تابعه ، وهي من المسائل التي كانت من أهم ميادين جهود السنهوري الموفقة .

الفقيد ومشروع نظام محكمة العدل الإسلامية الدولية

كانت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، بناءً على قرار مؤتمر القمة الإسلامية الثالث المنعقد في مكة المكرمة ، دعت بعض العلماء والخبراء من ممثلي بعض الدول الإسلامية ، لوضع مشروع نظام لمحكمة عدل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب مجمع اللغة العربية في دمشق الزاهر
بيعت في ٢٨ ذي القعدة ١٤٠٤هـ مع صادق التحية والولاء المؤلف
٢٤ آب ١٩٨٤م

تراث الخلفاء الراشدين

في الفقه والقضاء

تأليف
المحامي الدكتور صبحي محمصاني
عضو المجامع العلمية العربية
رئيس شرف في محكمة الاستئناف والتمييز
نائب بيروت وأستاذ في كليات الحقوق في بيروت سابقاً

دار العلم للملايين

صورة خط الفقيد صبحي المحمصاني
وتوقيعه على كتاب أهداه إلى المجمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إسلامية دولية تقرر انشاؤها ، ثم ألّفت لجنة فنيّة قانونية للنظر في المشروع الذي وضعه أولئك العلماء والخبراء ، وكان الدكتور صبحي المحمصاني من المدعوين ، كما كنتُ أنا في عدادهم ، إلى الاجتماع في مدينة جدة في أواخر عام ١٩٨١ م .

والتأمت اللجنة بتاريخ ٢٧ ـ ٣١ من كانون الأول (ديسمبر) من تلك السنة ، وسجلت افتقادها علم وخبرة الدكتور صبحي المحمصاني الذي اعتذر عن عدم الاشتراك مع زملائه بسبب حوادث مخلة بالأمن حالت دون وصوله إلى مطار بيروت الدولي[١٥] .

عمر فرّوخ ينعى الفقيد ويؤبّنه

في الرسالة التي تلقيتها من الدكتور عمر فرّوخ ، والتي أشرت إليها في صدر كلامي ، نعيُ الفقيد صبحي المحمصاني وأنه توفيّ في باريس في العاشر من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٨٦ ، وأردف الدكتور فرّوخ تغمده الله برحمته يقول :

« دخلت أنا وصبحي المحمصاني عام ١٩١٩ م إلى القسم الثانوي في مدرسة رأس بيروت التابعة للجامعة الأميركية ، ونلنا شهادة الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأميركية سنة ١٩٢٤ (المقابلة للبكالوريا) .

كان صبحي المحمصاني يتمتع بذكاء كبير ، وفيما يتعلّق بحفظ مفردات العلم خاصّة . وقد ساعده ذلك في حياته المدرسيّة ثم في حياته العامة في المحاماة وفي التأليف .

إن صبحي المحمصاني لمعرفته باللغتين الإنكليزية والفرنسيّة ولحسن اطلاعه على الشرع الإسلامي ثم على القوانين المدنيّة في البلاد العربية وفي

(١٥) إن المشروع الذي تمت صياغته يومئذ ، لم يتخذ شرعيته النهائية مع الأسف ، لعدم التئام مؤتمر القمة الإسلامي في دورة عادية حتى اليوم !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاد الأجنبيّة ـ أصبح مرجعاً في القضايا القانونية الدوليّة ...

رحمه الله وجزاه خيراً عمّا قام به من الخدمة الجلّى في دراسة الشريعة الإسلامية ومن التأليف فيها » .

رحم الله فقيدنا الكبير وأجزل ثوابه وعوض العربية والشريعة الإسلامية خيراً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net